الاستكبار

قال الشيخ الصالح:

إن من الناس من إذا ما أعطاهم الله المال فرحوا وتعالوا واستكبروا وبغوا فى الأرض ونسوا الله فلم يحمدوه ولم يشكروه على ما آتاهم ولم يتصدقوا وقالوا مثل ما قال قارون إنما أوتيناه على علم عندنا. ألم يعلموا أن المال مال الله وأنهم مستخلفون فيه وأن فيه حقاً للفقراء والمساكين. ألم يعلموا أن الله قادر على أن يسلبهم المال أو يسلبهم الصحة فلا يستمتعوا بالمال وعلى أن يغنى الفقراء والمساكين من فضله. ألم يخشوا أن يصليهم الله تعالى سقر مثل الوليد بن المغيرة المخزومى ويذيقهم عذاب الهون بما كانوا يستكبرون فبئس المصير. قال الله تعالى:

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ [المدثر: ٢٦ - ٢٨] ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠] ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨].

والله تعالى قادر على أن يخسف بهم الأرض كما فعل بقارون فالله هو المعز المذل وهو المتكبر له الكبرياء فى السماوات والأرض وهو المنفرد بالكبرياء والعظمة والجاه والجلال والعزة والقوة والسلطان.

فما غر هؤلاء المتكبرين بالله وجعلهم ينازعونه العظمة والكبرياء! ألا يخشون عذاب الله. قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر». وقال فيما يرويه عن الله عز وجل: «العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحداً منهما عذبته». ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٧].

إن المتكبرين قد غرهم متاع الحياة الدنيا وغرهم بالله الغرور ونسوا أن الله

قد خلقهم من ماء مهين. ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾﴾ [عبس: ١٧ - ١٩] فما لهم يستكبرون! فهم من ماء وكل شيء حي من ماء وكل دابة من ماء. ﴿...وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ...﴾ [الأنبياء: ٣٠] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ...﴾ [النور: ٤٥].

ولينظر هؤلاء المتكبرون أهم أشد خلقاً أم السماء. ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾﴾ [النازعات: ٢٧، ٢٨] ألم يدرك هؤلاء المتكبرون أن السماوات والأرض والجبال أذكى منهم وأفطن فقد أبين أن يحملن الأمانة وحملها الإنسان. ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ألم يدرك هؤلاء المتكبرون أن الكائنات من حولهم تفقه لغتهم وهم لا يفقون لغاتها وأن ما من شيء إلا يسبح بحمد الله. ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ...﴾ [الإسراء: ٤٤] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ...﴾ [سبأ: ١٠] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ...﴾ [النور: ٤١] ألم يتدبر هؤلاء المتكبرون قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:١٨] ألم يتدبروا كيف أحاط الهدهد بما لم يحط به سليمان عليه السلام. ﴿...فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢] ألم يعلموا أن الغراب علّم قابيل كيف يوارى سوءة أخيه هابيل. ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي...﴾ [المائدة:٣١] يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم...﴾ [الأنعام: ٣٨].

يا أيها المتكبرون إن للسماوات والأرض مشاعر ليست لديكم. أنظروا

كيف يبكين على المؤمنين إذا ما قبضت أرواحهم حزناً على حرمان الكون من تسبيحهم ولا يبكين على الكافرين فما بكين على فرعون وجنوده عندما ابتلعهم اليم. ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ...﴾ [الدخان: ٢٩].

وقد كان رسول الله ﷺ يسمع تسبيح الحصى فى يديه. وقد سمع بكاء جذع الشجرة التى كان يخطب إليه عندما تركه وخطب من فوق المنبر. وكان جبل أحد يبدى مشاعر الحب لرسول الله ﷺ. قال ﷺ: «أحد جبل يحبنا ونحبه».

وقال الشيخ الصالح:

ما أنت أيها الإنسان؟ إن أنت فى هذا الكون إلا كمثل قطرة ماء فى وسط مياه المحيطات. ومن أنت أيها الإنسان؟ إن أنت إلا أقل من معظم الحيوانات قوة وسرعة وأضعف من بعضها فى حواس الشم والسمع والبصر ولا تملك بضع ما تملكه الحيوانات والطيور والحشرات فلا تستطيع أن تتنبأ مثلهم بالزلازل ولا تستطيع أن تجوب مثلهم آلاف الأميال بدون دليل ولا يمكنك أن تعيش مثل بعض الحيوانات فى الماء والهواء ولا تبلغ درجة الوفاء عند بعض الحيوانات ولا درجة الإخلاص فى العمل عند بعض الحشرات إلا قليلاً.

وأنت أيها الإنسان لا تملك أن توقف الزلازل والبراكين والعواصف ولا تقوى على صد هجمات بعض الميكروبات الدقيقة وتؤذيك حشرات ضعيفة.

وأنت أيها الإنسان لا تعلم متى أجلك ولا بأى أرض تموت ولا تعرف نفسك ولا بعض ما يدور فى خلايا جسمك فما أوتيت من العلم إلا قليلا. وأنت ضعيف أمام الشهوات وهوى النفس ونزغات الشيطان يغرك متاع الحياة الدنيا الزائل والآخرة خير وأبقى لمن اتقى.

فلتعرف أيها المتكبر قدر نفسك فلا تتعالى ولا تستكبر وارجع إلى الله فطوبى لمن تاب وأناب إليه. ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ

آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨] قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ ثم يصلى ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر له».

وقال ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل: «إن الله يقول: ياعبدى ما عبدتنى ورجوتنى فإنى غافر ما كان منك. يا عبدى إنك إن لقيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لقيتك بقرابها مغفرة».

اللهم قد بلغت.. اللهم فاشهد.

obeikandl.com